

الفصل الأول

الشیطان فی عقائد الشعوب
والأديان

obeikandi.com

إن جميع ما وصلنا من أساطير المنطقة العربية ، والشرق بشكل عام ، يدل بشكل واضح أن الشعوب القديمة عرفت الشيطان من خلال ما يرمز إليه من شر وباطل وفساد وإفساد ، وخلال مسيرة العقل البشري عُرف التناقض والتضاد بين معنى الخير ومعنى الشر .

وجعلت الشعوب القديمة آلهة لها تمثل جانب الخير ، كما جعلت للشيطان صوراً قد تكون مجسدة بصنم أو وثن تمثل الشر ، ولعل فطرة الإنسان التي منحه الله إياها جعلته يصور ما يرمز إلى الخير جميلاً محبباً بحيث يعكس الإحساس الداخلي الإنساني لصورة الخير نفسه ، ويصور ما يرمز إلى الشر قبيحاً شرساً تنفر منه النفوس ، وتخافه العيون والأحاسيس .

ويبدو أن نظرة البشرية للشيطان كان مصدرها واحداً . ومن خلال تفحص المعاني التي يمثلها هذا المخلوق نرى أن المصدر الأساسي لمعرفة تلك المعاني هو العقيدة الدينية ، أو بشكل أدق ، ما ورد في القرآن الكريم عن قصة خلق آدم ، ورفض الشيطان الانصياع لأمر الله باحترامه لأول إنسان عاقل .

صحيح أن القرآن الكريم آخر كتاب سماوي أنزل على آخر الأنبياء وخاتمهم ، وصحيح أن قصة آدم وزوجته والشيطان وردت فيه بشكل متكرر ومفصل ، لكن القصة الواقعية لهذا الحدث كانت وما تزال تشكل أول واقعة كبرى بدأت في حياة البشرية جمعاء .

وقد عرفت أساطير الشعوب القديمة هذه القصة ، وطورتها وأضافت عليها ، حتى صارت أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة .

لكننا إذا درسنا صفات الشيطان وأعماله وما يدور حوله من خلال القرآن الكريم وجدنا أن الصفات نفسها تتكرر عند الشعوب ، وكذلك الأعمال ، وكذلك ما يدور حوله .

وهي بمجملها صفات سيئة تمثل الجانب الشرير والمظلم من الحياة . والواقع

أن جميع الشعوب عرفت عبر تاريخها وعقائدها وأساطيرها الشيطان وكانت تدرجه دوماً في الجانب الشرير من الحياة .

حتى إذا ظهرت الأديان الكبرى كانت صورة الشيطان قد تكاملت في مخيلة العقل البشري وعقائده .

وقد ربطت شعوب كثيرة الشيطان بعمل السحر والجن والشعوذة ، وبعض الطقوس السحرية التي ما تزال منتشرة إلى الآن في كثير من الأوساط العالمية .

لعل من أقدم الحضارات التي حفلت بصور كثيرة عن الشيطان هي حضارة الهند وتدل الدراسات على أن الهنود عرفوا ما يسمى بالعفاريت الخبيثة أو العابثة ، وهم يطلقون عليها اسم الراكشا ، وينسبون إليها أعمالاً أشبه بأعمال الشياطين في العقائد الأخرى .

وبشكل عام فإن الشياطين في صورة الراكشا هم الشر الذي أبغضه الآريون ، وصوروه لأبنائهم في الصورة التي تنفر منه وتحذرهم من كيده ⁽¹⁾ .

ويطلق الهنود اسم الشاكتي على بعض صور الشيطان المتمثلة بأثى . ويطلقون عليها اسم جورى وكالى . واسم كالى هو الاسم الذي يعرفها به من يعبدها .

فقد وجد في هذه الفئة من يعبد الوجه الشرير الذي تمثله هذه الشيطانة ، وقد اشتهر من يعبدها باسم الخناقى ، ن واتخذوا شعارهم في القرابين البشرية قتل الضحايا من دون إراقة دماء . وقد عاشت جماعة الخناقين زهاء ستة قرون تتعبد الإلهة (كالى) بخلق ضحاياها والتقرب باستلابهم على محاربيها . ومن الرموز التي وضعوها لهذه الإلهة أنها على شكل امرأة عابسة تحيط خصرها بنطاق من الجماجم والسكاكين ، وتحمي كل من يطيعها ويتقرب إليها بتلك القرابين .

ومن الملاحظ أن هذه الفئة تربط بين الشيطان والأنوثة ، فلذلك كانت الإلهة

(1) عباس العقاد . إبليس ص 60 .

كالي المرأة التي تمثل الشيطان . وليس من شك في أن هناك تقارباً واضحاً بين هذه العقيدة والعقيدة التوراتية التي تربط الشيطان بالأنثى .

ويلاحظ أيضاً عند الهنود أنهم يقولون عن العالم المحسوس كله إنه مايا أو وهم وضلالة ، وإنهم يصورون هذه المايا في صورة أنثى شديدة الفتنة والغواية ويمثلون جمال العالم المحسوس بجمال الأنثى التي تستعين بالغريزة الجنسية على خداع المفتونين عن الحقيقة فيحسبون اللذة نعمة تبتغي ، وهي شقاء أبدي لا يؤدي إلا غير شقاء ، وليس بعيداً التصور القرآني بشكل خاص والتصور الإسلامي بشكل عام حول هذه المسألة . فإغواءات الشيطان أكثر ما تركز على الجنس الحرام ، واستخدام المرأة وسيلة للوقوع في شر ذنب وأقبح خطيئة .

ولا شك في أن الديانة الهندية هذه تمثل الشيطان بكل عمل شرير يقدم عليه الإنسان ، وهذا الشر هو ما يسمونه الشيطان الكوني المرادف للفتنة ، وكل ما يحرف الإنسان عن طريق الخير .

وقد عرف الكنعانيون عالم الشر والشيطان ، وحين نبحت في معتقداتهم تبرز لنا خطوط هامة تشير إلى الوجه النقيض للخير أي الشر . فالكنعاني عندما يخطئ ، أو تحل به بعض المصائب فإنه يحمل إبليس وجيش الشياطين تبعات ذلك . وقد أدرك أن للشياطين أرواحاً ، وهذه الأرواح الشريرة تتحالف من بعض الآلهة ضد الناس وتتآمر مع بعض الأعوان ضد البلاد والأوطان .

وحمل الكنعاني الشيطان صفات كثيرة . منها أنه الذي يدس ، وأنه صاحب الفتنة والدهاء والمتحالف مع قوى الشر من الآلهة . وهو دليل المتوفين وحارس الأموات . وقد جعلوا للأبالسة زعيماً يقال له (بعل زبوب) وهو الإله المعبود في عقرون الكنعانية . وهو رب الطب حسب اعتقادهم كان يشفي المرضى لأنه سيد الشياطين .

ويرد في نصوص أوغاريت أن الإله بعل يأمر الشياطين وهم بأعداد كثيرة كالجيش ، ويدمرون كل شيء . ورئيس الشياطين المباشر هو حارس الأموات

ودليل المتوفين ، وبإمكانه إطلاق قوى الغيب من عقالها والسيطرة على العدو بأياد خفية⁽¹⁾ . ويرد أحياناً أن رئيس الشياطين مستشار للملك .

أما صفات إبليس فهي : أن وجهه قاسٍ بصورة عامة . وباستطاعته التنكر ليدو بمظهر الصديق . ولكن سرعان ما يفصح عن نفسه في الوقت المناسب . وعندئذ يجلس إلى يمين مضيفه بعد أن يكون قد دبر مؤامراته . ولا تؤثر اللعنة في إبليس . وإذا ما دعا سيده فلن يصبح من الممكن تغيير شيء في سير الأحداث . وإذا ما أسدى النصح يجب العمل بعكس ما ينصح به ، لأنه كاذب حتى في نصحه . وحارس الأموات طقس خاص به . ويمتاز الشيطان بخاصية المكر المؤدي إلى تدنيس المقدسات . وقد يفرح للمخزيّ وخزيه ، ويضحك ممن يتخبط في سبيل التخلص منه . وأحياناً يدعو الملك الأبالسة إلى مأثدة خاصة به . ويمكن أن تقدم الذبائح لرئيس الشياطين .

وكان الكنعانيون يرون أنه من الضروري تجنب إبليس وحضوره حين تقدم التقدّمات والأضحيات للإله (إيل) .

وحراس الأموات الأبالسة لا يمثلون إلا في العالم السفلي حيث تكون مهمتهم السهر على الأموات . وتعليمهم عادة الحياة بعد الموت . وقد يشكو الناس مصائبهم للآلهة والشياطين معاً لما للشياطين من قوة تدمير . وهناك قوى يدعونها (فوق الطبيعة) تأتمر بإمرة (بعل) . وقد أطلقوا عليها القوى السماوية . والأبالسة وحدهم يستطيعون التغلب عليها بواسطة أيادٍ خفية وهذه القوى يمكنها تدمير البلاد .

ومن خلال ما وصلنا عن عالم الشر والشيطان في الحياة الكنعانية نستطيع أن نرى نوعاً من التقديس للشيطان ، ولكنه تقديس الخوف من تدميره ومن جيوشه المدمرة ، وليس حباً به وتعظيماً له .

وقد عرفت الحضارات القديمة كالمصرية والسومرية والبابلية واليمينية صوراً

(1) مفيد عنوق . اللآلئ نصوص من الكنعانية ص 36 .

شتى للشر وربطته بالشیطان . وبمجمّلها كان موقفها موقف المعادي منه . وهذا بطبيعة الحال يدل على فطرة البشرية منذ نشأتها على التمييز بين الخير والشر والموقف منها . بغض النظر عن نسبية كل نظرة وكل موقف .

ومن النّحلّ التي يأخذ الشیطان مساحة واسعة من عقیدتها نحلّة اليزيدية . وقد آثرنا الحديث عنها قبل الحديث عن اليهودية والنصرانية والإسلام ، لأنها ، حسب أكثر المصادر موثوقة ، مستقاة من الزرادشتية ، ومن ثم دخلت فيها بعض المؤثرات اليهودية والمسيحية والإسلامية .

وقد أفرد عدد من الباحثين كتباً خاصة لدراسة اليزيدية ، وكان أهمها وأكثرها دقة وموضوعية ما كتبه الدكتور (خلف الجراد) في كتابه - (اليزيدية واليزيديون) .

ويرجع بعض الباحثين نحلّة اليزيدية إلى المانوية أو الزرادشتية . وهؤلاء الباحثون يرون أن اليزيديين يؤمنون بوجود إلهين ، ويرون أن عليهم عبادة إلهيّ النور والظلام ، ويعتقدون بوجود إله الخير الذي لا نهاية لرحمته ويعتقدون بالشیطان الذي هو عامل الشر المحض فيرون عبادته واجبة اتقاءً لشره وخوفاً من نقمته لا احتراماً له وطمعاً في مثوبته .

ويرى اليزيديون أن أهم ما في عقیدتهم شخصية طاووس ملك ، أو الملك طاووس ، ويمثلون له بتمائيل مختلفة الحجم والمقاسات إما على شكل طاووس جميل أو على شكل حمامة أو ديك . ويعتقدون أن الله خلق ملك طاووس قبل الكائنات كلها ، وكلفه بإدارة شؤون الكون ، وجعله حاضراً في كل الجهات . فيرسل خدامه وأعوانه لجميع النواحي للتفريق بين الضلالة والهداية ، بين الكفر والإيمان . وهمزة الوصل بين البشرية والله تعالى في الاعتقاد اليزيدي هو الملك طاووس الذي ينزل من فترة لأخرى ويتصل بالأفراد الصالحين . ويعتقد اليزيديون حسب ما ذكر الباحث اليزيدي المعاصر (درويش حسّو) أن الخالق الكبير (أزداه) سبحانه وتعالى لا شريك له ولم يلد ولم يولد ، وأن الملك طاووس هو المنفذ لأوامره . وأن الخالق هو

الله سبحانه وتعالى وليس قبله خالق ولا بعده . ويعتقدون أن الله خلق الملائكة السبعة وعين الملك طاووس رئيساً لهم بحيث يلعب دور همزة الوصل بين الخالق والملائكة ، وكذلك بينه وبين البشرية والمخلوقات الأخرى⁽¹⁾ .

وحتى نفرق بين اليزيدية وعبدة الشيطان المعاصرة التي أسسها (أنطوان ليفي)، وانتشرت في بعض البلدان فإن لليزيديين صلاة وأدعية وتقاليد عقائدية يتمسكون بها .

وعندهم ما يسمى صلاة الفجر . وصلاة الإشراق . وصلاة الأموات ، ودعاء ما بعد الصلاة ، وعندهم أيضاً صيام ، وينقسم قسمين ؛ صيام الخاصة وصيام العامة ويصومون ثلاثة أيام وهي الثلاثاء والأربعاء والخميس من الأسبوع الأول من شهر كانون الأول الشرقي . وعندهم شعائر للحج ، حيث يقصدون كعبة خاصة بهم وهي مرقد الشيخ (عدي بن مسافر الأموي المكاربي) ، ولديهم أيضاً زكاة تُفرضُ على اليزيدي لتنفق على بعض الفئات الدينية والاجتماعية ، ولديهم تقاليد وعادات في الزواج الشرعي الذي فيه مهر .

وتحرم السرقة عند اليزيديين ، وكذلك الغش والخداع . ومن المحرمات الزنى والحيانة في الحياة الزوجية ، وكذلك خيانة الصديق والجار وغيرهما من البشر⁽²⁾ .

وهذه الشعائر والمعتقدات تتناقض كلياً مع تعاليم حركة عباد الشيطان المعاصرة التي نحن بصدد الحديث عنها .

وعبادة الشيطان لها جذور في معظم حضارات العالم . ولعل أقدمها ما عثر عليها في الكتابات الفرعونية ، ومثال على ذلك ما ورد في إحدى البرديات الفرعونية أن كهنة السحر الأسود كانوا يقدسون الإله ست . وهو رمز للشر وتم تحريفه إلى كلمة ساتان بالإنجليزية والعبرية وإلى الشيطان بالعربية .

ويرى العالم النفسي يونغ صحة وجود هذه الظاهرة ، وأنها واقعية وليست

(1) د . خلف الجراد : اليزيدية واليزيديون ص 22-23 .

(2) د . خلف الجراد : اليزيدية واليزيديون ص 141-142 .

مصطنعة ، وذلك بإعادتها إلى اللاشعور الجماعي باعتبار أن الرموز الفرعونية هي المصدر الأم لكل الحضارات اللاحقة . وإكمالاً لما سبق عن حقيقة الإله ست الفرعوني فإن المصريين كانوا يقدسونه . ثم تحول إلى إله للشر عندما قتل إله الخصوبة الطيب (أوزريس) وساعد الأجنبيين والفرس على غزو مصر . وذلك قريب جداً من التفسير السياسي للغزو الأجنبي الثقافي لمصر عن طريق استمالة من يتم تحويلهم إلى عبادة الشيطان .

وفي بابل وأشور تذكر الأساطير أن صراعاً حدث بين آلهة الخير وآلهة الشر بين آلهة النور وآلهة الظلمة . ويتجسد مفهومهم للشيطان من خلال اعتباره في نفس قوة إله الخير . فالشيطان أقوى من الإنسان لكنه أضعف من الإله الأكبر . وهناك عقيدتا الشامانية والمانوية تؤمنان بقوة الشيطان وتعبدانه وما زال لهما بعض الأتباع في أواسط آسيا يقدمون الضحايا والقرايين للشيطان .

وفي التراث الإفريقي ما زال يعتبر سحر الفودو وهو السحر الرسمي الوحيد في العالم كنوع من تقديس الشيطان والحصول منه على قدرات خارقة للسيطرة على بعض الناس ولعل تلك هي جذور الموسيقى السوداء حيث أسسها في أميركا الزوج الذين استُبعِدوا من إفريقيا . ولها جذور في الديانات الإفريقية القديمة .

الشیطان فی اليهودیة:

درج بعض الباحثین المتخصصین بما یسمى التوراة - العهد القدیم - علی القول: إن الحیة التي ورد ذكرها فی سفر التکوین التوراتی هي رمز الشیطان . فلیس من فرق بین قصة الخلق القرآنی وقصة الخلق التوراتی . فالشیطان هو الذي أغوی آدم وحواء فی القصة القرآنیة ، والحیة التي هي رمز الشیطان أغوت آدم وحواء فكان الهبوط من جنة عدن إلى الأرض . .

وتتوقف البحوث هنا ، أو ربما تزيد قليلاً إذا ما أدخلت بعض المقارنات بین ما ورد فی التوراة والأساطیر القدیمة السومریة ، أو البابلیة أو بعض الأساطیر الفارسیة والهندیة وغيرها .

یبد أن دراسة هذه الظاهرة فی التوراة لا یمکن أن تكون واعیة عمیقة دون العودة إلى مفهوم الشیطان فی العقیدة اليهودیة ، طبیعته ، ومكانته ، ورؤیة بعض الطوائف اليهودیة لقدسیة الشیطان ، وما العلاقة بین الشیطان والإله؟ .

یورد سفر التکوین فی الإصحاح الثالث قوله : وكانت الحیة أحیل جمیع حیوانات البریة التي عملها الرب الإله . فقالت للمرأة : أحقاً قال الله لا تأکلا من کل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحیة : من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي فی وسط الجنة فقال الله : لا تأکلا منه ولا تمسأه لئلا تموتا . فقالت الحیة للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه یوم تأکلان منه تنفتح أعینكما وتكونان كالله عارفين الخیر والشر . (تك 3 : 1-6) .

وجاء فیہ : فقالت المرأة : الحیة غرتنی فأكلت . فقال الرب الإله للحیة : لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جمیع البهائم ، ومن جمیع وحوش البریة ، علی بطنك تسعین ، وتراباً تأکلین کل أيام حیاتك . وأضع عداوة بینك و بین المرأة ، و بین نسلك ونسلها ، هو یسحق رأسك وأنت تسحقین عقبه . (تك 3 : 13-16) .

لن نناقش التناقض الصارخ فی التوراة ، وكذلك سندع أسئلتنا حول عدم

الواقعية في النص التوراتي . وفي مجملها وجود الحية في البرية وليس في الجنة ، ونطقها وهي حشرة ، ولعنة الرب عليها وهو لا يلعن ما خلق إلخ . .

لكننا سنتوقف طويلاً عند اختيار كتبة التوراة للحية بدل الشيطان . ففي ذلك مدعاة للتساؤل والبحث .

العقيدة التوراتية لا تحمّل الشيطان وزر الخطيئة الكبرى التي وقع فيها آدم وزوجه . الشيطان حسب العقيدة اليهودية رمز من رموز القوة المطلقة التي تضاهي قوة الله الخالق .

اليهود يحترمون الشيطان ويقدمونه ، ويجعلون له طقوساً مثلما يعملون طقوساً للإله التوراتي يَهُوه . وإضافة للاحترام فإنهم يخشونه ويخافونه لأنه يستطيع حسب معتقدتهم أن يفعل بهم ما يفعله الإله الخالق .

ولذلك حملوا الحية الخطيئة الكبرى ، وتجنبوا الحديث عن الشيطان . ولأن الحية عبر التاريخ يخشاها الإنسان بسبب سمها وخطورتها وجدوا فيها أسوأ الحشرات التي يمكن أن يلصقوا بها تهمة باطلة وهي إغواء آدم وحواء .

ومع ذلك فإن التوراة تناولت الشيطان في مواقع قليلة من أسفارها . وكما أن مفهوم الإله المطلق لم يكن واضحاً لدى التوراتيين فإن مفهوم الشيطان لم يكن واضحاً أيضاً ، ويرى الباحثون أن مفهوم الشيطان أخذه التوراتيون عن بابل والفرس بعد أن تأثروا بعقائد تلك الشعوب . لكن وضوح مفهومه جاء في التلمود بشكل واضح وصارخ .

أما التوراة فتقول : وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال : من الجولان في الأرض ومن التمشيِّ فيها ، فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض ، رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر؟ فأجاب الشيطانُ الربَّ وقال : هل مجاناً

يتقي أيوب الله . . . (أيوب 6: 1/9).

ويستمر الحوار حسب زعم التوراة بين الله والشيطان طويلاً، ويلقاء مع أبناء الله أكثر من مرة. فالشيطان في هذه القصة التوراتية حسود لا يحب الرجل التقي المستقيم ويستطيع - حسب زعم التوراة - أن يقنع الله كي يمتحن عبده أيوب. وتختلط أعمال الله بأعمال الشيطان حتى يظن المرء أن الله هو الشيطان، الشيطان هو الله. يقول العقاد: لم يشعر العبرانيون الأوائل بما يدعو إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه، لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان. وكان العمل الواحد عندهم ينسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قصة إحصاء الشعب على عهد داود. ففي المرة الأولى كان الشيطان هو الذي أغوى داود، وفي المرة الثانية كان الإله هو نفسه الذي أمر داود بإحصاء الشعب (سفر صموئيل الثاني).

وعود على بدء فإننا نرى أن للشيطان قصة لها علاقة بالعبادة اليهودية والتقديس اليهودي. ولذلك قلنا في البداية إن اليهود حملوا الحية مسؤولية الخطيئة الكبرى المشار إليها ولم يحملوها للشيطان.

أما التلمود الذي يراه اليهود أهم من التوراة فيرى أن الله خلق الشياطين يوم الجمعة عندما خيم الغسق، ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً، وما كان لديه - أي الله - الوقت الكافي ليعمل كل ذلك. وعلى حسب رواية تلمودية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بلا جسد.

وحسب تفسير التلمود، فإن الشيطان على عدة أنواع، فبعضهم مخلوق من مركب مائي ناري وبعضهم مخلوق من الهواء وبعضهم من الطين. أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها.

ويرى التلمود أن بعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله - حسب

زعم التلمود - أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلأً تعيساً، فتحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين .

وجاء في التلمود أن آدم كان يأتي شيطانة مهممة اسمها ليليث مدة 130 سنة فولد منها الشياطين . وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين . والشياطين حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون . وأمهات الشياطين المشهورات أربع استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة ، وكان يجامعهن .

يقول التلمود : إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماغيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ، ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت . وليليث السابق ذكرها عصت آدم فعاقبها الله بموت أولادها فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها . ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليها ثلاثة أسماء من أسماء الملائكة . وهي تعوي دوماً كالكلاب ، ويصحبها مائة وثمانون ملكاً من الأشرار . وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات دأبها الرقص دون أن تستريح ، وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة .

أما محل سكن الشياطين فقال الحاخامات : (إن بعضهم يسكن في الهواء . وهم الذين يسببون الأحلام للإنسان . وبعضهم يسكن في قاع البحر وهم الذين يتسببون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم . وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا .

ونصل إلى جوهر المسألة لنقول : إن بعض الفرق اليهودية يرون في الشيطان قوة تضاهي قوة الله ، وما تمرد على الإله إلا دليل أنه ذو قوة هائلة يستطيع بها تحدي الله . وترى بعض الفرق أن الشيطان موجود قبل أن يوجد الله الإنسان والملائكة . ولما اختلف مع الله سلط الله عليه أحد رؤساء ملائكته فحاربه سنين

طويلة حتى انتصر عليه وعلى جنوده ، وقيدته وأحضره إلى حضرة الله ، ومكث مدة زمنية تقاس بالآلاف السنين ثم عفا عنه وطرده ، فتسلط على بني الإنسان حتى أغوى الكثيرين منهم وأضلهم عن سواء السبيل .

ومن تقديسهم للشيطان أن اليهودي يجب أن لا يتوجه إلى الشرق أثناء قضاء حاجته لأن الشرق حسب زعمهم هو مسكن الشيطان .

وقد طور اليهودي الأمريكي مفهوم عبادة الشيطان - وهو المدعو أنطوان شيلدر ليفي - منذ عام 1996 . ويقوم مذهبه على ادعاء أن الله ظلم إبليس . وإبليس ملاك تعرض للظلم على الرغم من أنه رمز القوة . وينكر صاحب هذه البدعة الأديان جميعها ويطالب بدليل مادي على وجود الله . أما الشيطان فالأدلة عليه كثيرة وآثارها موجودة وقوته خارقة ، تظهر وتنتقل للتابعين . فالشيطان بنظر هذا الداعي اليهودي يمثل الانغماس الذاتي وإطلاق المرء العنان لأهوائه ورغباته وشهواته بدلاً من الامتناع عنها . والشيطان يمثل التواجد الحيوي بدلاً من الأمل الكاذب والوهمي . والشيطان يمثل الحكمة غير المشوهة وغير الملوثة بدلاً من خداع النفس بأفكار زائفة .

واعتقد أن اليهودي أنطوان ليفي لم يكن بعيداً عن تعاليم التلمود والانحرافات اليهودية ، وكذلك الانحرافات المستمرة عن التوحيد . ولم يكن بعيداً عما قاله سفر التكوين ، وأبعد فيه المسؤولية عن الشيطان في قصة الغواية والخطيئة الكبرى التي وقع فيها آدم وحواء . ولعل ما يشير إلى تقديس الأفعى أيضاً لكونها استطاعت غواية الإنسان الأول ، هو وجود رمز لها على شعارات بعض الحركات اليهودية وما فرخته من حركات . وأهم شعار من تلك الشعارات الحية الملتفة على كرة الأرض جميعها بحيث ترمز إلى الحكومة اليهودية الماسونية العالمية التي تتحكم بالعالم .

الشیطان فی العقیدة النصرانیة:

من خلال الأناجیل وتعالیم العقیدة النصرانیة یرتبط موقفها تجاه الشیطان . فهو عدو المسیح علیه السلام وبالتالي هو عدو النصرانیة جمیعها . وقد أوردت الأناجیل ما یرسم المسیح وتجربة الشیطان ، وتكررت الأحادیث عن الشیطان باعتبارہ عدو الله وعدو المسیح وعدو الخیر .

وترى العقیدة النصرانیة أن بعض الملائكة حولوا أنفسهم إلى شیاطین وكان رئیس الملائكة هو الشیطان . وهذا یركنا بما تقوله نحلة الیزیدیة . وترى النصرانیة أن عدد الشیاطین یعادل ثلث عدد الملائكة . وتورد كتبهم ورتبهم وتفاوتهم فی القوة ، ومن أسمائهم السقوط . وتورد هذه الكتب أيضاً كثرتهم ورتبهم وتفاوتهم فی القوة ، ومن أسمائهم الكرویم ، والقوات والأرباب والرئاسات والسلطین ورؤساء الملائكة ، والملائكة ، ولهم ألقاب كثيرة منها الشیطان ، إبلیس وكان اسمه عزازیل وهو معروف لدى اليهود منذ القدیمة . ومن ألقاب الشیطان رئیس هذا العالم ، والتنین والحیة القدیمة ، والمضلل ، وإله هذا الدهر ، وسلطان الظلمة ، والشریر ، وبعزل زبول ، ورئیس سلطان الهواء ، وبلیعال ، ومن ألقابه المذمومة سفانائیل ولیسقورس .

وأعمالهم كثيرة منها ، تعطیل وصول بعض الرسائل الإلهیة للبشر . - حسب رؤیة العقیدة النصرانیة - فإبلیس یحاول أن یعطل جبرائیل عن تبلیغ رسالته إلى فارس حتى أعانه الملائك میکائیل وانتهر الشیطان . وترى النصرانیة أن إبلیس یبعث أعوانه إلى الممالك الكبيرة لیضل الناس ویمنع وصول الرسالة الإلهیة إليهم . ومن أعمال الشیاطین أنهم یحسدون المؤمنین ویشتكون للرب علیهم . ویظهر ذلك بإظهار أخطاء البشر وضعفهم أمام الله . ومن مهماته إضعاف المؤمنین روحياً فیشغلهم عن الصلاة والصوم والتأمل وباقي المقومات الروحیة ، حتى یتعروا من ملابس البر ، ومن مهماته الإغراء والإثارة خاصة الإثارة الجنسیة لیقع المؤمنون بارتكاب الفاحشة وهي الزنا . ومن مهمات الشیاطین التخویف ، وإثارة الفرع . ویعتقدون أن الذی یكلف بهذه المهمة نوع من الشیاطین یلقبهم بعض الناس بالعفراریت الدهاة والخبثاء .

ومن مهماتهم رفض الدخول من الباب الضيق ، فالشيطان عدو الخير يستخدم أسلوب التخفي ، ويحاول أن يقنع المؤمنين أنه لا يوجد شيء اسمه حروب الشياطين . من أساليبهم الكبرياء . فيرون أن الكبرياء سبب أول خطيئة في العالم . فسقوط الشياطين كان بسبب الكبرياء ومن صفات الشياطين ما هو خاص بالخلقة والأجسام ، ومنها ما هو خاص بصفات معنوية فالشياطين مخلوقون من نار . ولهم أجسام روحانية يستطيعون أن يظهروا للبشر في أجساد مستعارة . وهذه الأجسام لا يستخدمونها في خدمة البشر بل لتخويفهم وخداعهم وتضليلهم .

ومن صفاتهم الشر والنجاسة . فالشياطين أشرار وحيات وعقارب ، قوات الظلمة وأرواح نجسة . وهم قادرون على فعل الشر . فالشيطان هو الذي أسقط آدم وحواء من الجنة ، وهو الذي استطاع أن يضل العالم كله أيام الطوفان ، ولم تنج من برائته إلا أسرة نوح عليه السلام ، وهو قادر على تحويل الناس عن عقيدتهم المستقيمة إلى عبادة الأصنام . ويدخل الشياطين نفوس الناس ويسببون لهم الأذى . ومن صفاتهم أيضاً المكر والمعرفة . وحسب ما تقوله العقيدة النصرانية فقد تظاهر رئيس الشياطين بالعطف على السيد المسيح بعد أن صام أربعين يوماً وجاع ، وتقدم الشيطان إليه وهو يناشده بأن يرحم نفسه من هذا الجوع الذي قد يؤدي به إلى الموت الجسدي وطلب منه أن يرحم نفسه .

أما المتعاملون مع الشيطان فهم الذين يقدمون له فروض الطاعة كاسرين الوصية الأولى من الوصايا العشر (لا تكن لك آلهة أخرى أمامي) وترى النصرانية أن الذين يشتغلون بالسحر يبهرون الناس بأعمال مدهشة مثلما كان يفعل سيمون الساحر . وحسب ما يقول البابا شنودة فإن هناك أشخاصاً يسلمون أنفسهم للشياطين في مقابل خدمات معينة تؤديها الشياطين لهم . ومنهم من يقيم عهداً مع الشيطان ، ومنهم من يرسل الشيطان في مهمة يقضيها له ، كأن يحضر له شيئاً أو يؤثر بها على إنسان آخر . ويرون أن الشيطان لا يعمل مجاناً بل له في ذلك مقابل يدفعه المتعامل معه من إيمانه بالله .

والمتعاملون مع الشيطان على نوعين:

نوع يقبل هذا التعامل من أجل المنفعة التي يقدمها له . وقد يندم على تعامله مع الشيطان ويحاول الفكاك منه فلا يعرف .

وهناك نوع آخر مخدوع من الشياطين . لأن الشيطان يستطيع أن يغير شكله إلى شبه ملاك . وقد يظهر في هيئة واسم أحد القديسين . وقد يعطي أحلاماً كاذبة ورؤى كاذبة . ويسعى بعضهم وراء الشياطين لمعرفة المستقبل ظناً منهم أنهم قادرون على التنبؤ ومعرفة الغيب .

الشيطان في المنظور الإسلامي:

تبدأ قصة الشيطان مع بدء قصة خلق آدم كخليفة في الأرض . فالله سبحانه يأمر الملائكة بالسجود لما خلق - آدم - فيرفض إبليس ويتكبر . وبعد أن أخطأ آدم وأهبط من الجنة بدأ الصراع بين بني آدم والشيطان ولن ينتهي حتى تنتهي الحياة .

وقد ورد عصيان إبليس لأمر الله في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة . منها تسع مرات تصف تكبره واعتراضه على السجود والامتثال لأمر الله . ومنها آيتان تأتيان في سياق عذاب إبليس وجنوده .

يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبٰٓلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٖ ۗ اَفَتَتَّخِذُوْنَهُ وَاٰوِيَاتِهٖٓ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِيْنَ بَدَلًا ۙ ﴾ [الكهف : 50] .

ويقول تعالى : ﴿ وَقِيْلَ لَهُمْ اَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُوْنَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ هَلْ يَنْصُرُوْنَكُمْ اَوْ يَنْتَصِرُوْنَ ﴿٩٣﴾ فَكَبٰٓرُواْ فِيْهَا هُمْ وَالْغٰوِرُوْنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُوْدُ اِبٰٓلِيسَ اٰجْمَعُوْنَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء : 92-95] .

وقوله تعالى : ﴿ اَفَتَتَّخِذُوْنَهُ وَاٰوِيَاتِهٖٓ اَوْلِيَاءَ مِنْ دُوْنِي ... ﴾ تشير إلى اتخاذ بعض البشر إبليس إلهاً باعتباره قوة قديمة خلقها الله قبل آدم . ويزعم بعض عبدة الشيطان أن إبليس كان ذا قوة تضاهي قوة الله وإلا لما عارض ورفض إطاعة أوامره . وقد توسعت مهمته في الأرض بعد إنزاله وتعددت . ونرى من خلال آيات القرآن الكريم مهمات عديدة له وصفات .

ويمكن أن نلخص صفات الشيطان وأعماله على الشكل التالي :

- إنه عدو لله والإنسان .
- إنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها .

- وعود الشيطان كاذبة وتؤدي إلى التهلكة .
 - يزين الأمور أمام الأعين فيضل الناس .
 - ينهى عن الخير ويحرض على فعل الشر بكل أشكاله .
 - يتدخل في النفس والعقل فيُنسي الإنسان ذكر ربه ويُنسيه الأمور .
 - للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب .
 - يُحَدِّدُ اللهُ تعالى من الشيطان .
 - يُحَدِّدُ سُبْحَانَهُ وتعالى من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله .
 - هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر .
 - مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم .
 - جعل الله في السماء شهباً لرد الشيطان عن سرقة أخبار السماء .
 - ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين .
- وأمثلة على ما قلناه فإن الآيات القرآنية الكريمة تأتي على ذكره وصفاته وأعماله . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : 5] .
- ويقول تعالى : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ الشَّيْطَانَ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : 42] .
- ويقول : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء : 120] .
- ويقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ [المائدة : 91] .
- ومن خلال آيات القرآن الكريم ندرك أن للشيطان مهام كثيرة أهمها : الإفساد بكل وجوهه . ولكن تبعية ذنب الإنسان التي يحملها للشيطان ليست سوى تبعية الإنسان نفسه ، فهو يتبع الشيطان وما زين له من مفاتن ، ولكن ليس

للشيطان سلطان جبيري قدرى على الإنسان وهو مخلوق مثله مثل الإنسان .
وبشكل مبسط نرى أن الإسلام كعقيدة حدد الموقف من الشيطان ومن
أتباعه . فكل من يتبعه أو يعبده فهو خارج عن الدين ، خارج عن العقيدة ، ونعتقد
أن الإسلام والمسيحية يتفقان في ذلك ، وكذلك الديانة التوحيدية الموسوية كما
جاءت زمن موسى ؛ أي قبل أن يطرأ عليها التحريف .